



أمام واشنطن فرصة لن تكرر، من أجل صدقيتها، لتعلن شيئاً مما تعرفه ومما هو مؤكّد عن دور النظامين السوري والإيراني في نشأة تنظيم «داعش» وتسمينه واجتذابه إلى سورية وتوظيفه في إفساد انتفاضة الشعب السوري ومن ثم استخدامه مع «جبهة النصرة»، وهي فرع انشقّ «داعش» عنه، لطرح المسألة السورية وكأنّ النظام كان راعياً صالحًا ووجد نفسه بفترة في مواجهة مع مجموعات متطرفة همجية تسعى إلى تحطيم النموذج الذي بناه للرقي والاعتدال والتقدير. ولتخلّ واشنطن عن أسلوب البرقيات الذي دأبت عليه لتقول بوضوح تام لماذا تعتبر أنّ بشار الأسد «لا يمكن أن يكون جزءاً من أي حل» ولماذا «لن يكون له دور» في مستقبل سورية.

وإذا لم تفعل فإنها ستبقى متهمة بالمشاركة في ظلم الشعب السوري إسوة بمشاركتها المؤثّة في ظلم الشعب الفلسطيني، ومتهمة بالخضوع لابتزاز إيران وإخفاء الحقائق لحماية صفقات ومصالح متوقعة معها، بل ستتأكد اتهامات أبواب طهران لها بالكذب والمناورة وبأنها هي التي «ترعى التكفيريين»، والدليل أنها استهلكت عاماً ونصف العام في تمكين «داعش» من التوسيع إلى حدّ أن فرنسا تقارباليوم مع روسيا لأنها تريد حرباً «جديّة» على «داعش».

وأمام روسيا حالياً فرصة لن تكرر لتبهير الصورة التي تريد ترسيختها لدى شعوب المنطقة، وإثبات أنها فعلاً دولة كبرى ذات قيم وليس «دولة مافيات» كما يُنطر إليها، وأنها تريد حفّاً - كما تقول - تصحيح النظام العالمي وتنظيفه من الأوبئة والأمراض التي زرعتها فيه سياسات الولايات المتحدة وأخطاؤها.

ولكن، كيف لها أن تفعل ذلك، وهي تعلم، مثل أميركا، ظروف نشأة «داعش» وتوحّشه حتى صار تهديداً للسلم العالمي، وكيف تطالب بإشراك نظام الأسد وهي تعلم، مثل أميركا، بأنه وحليفه الإيراني استدعيها لمساعدتهما - بإسم محاربة

الإرهابـ.ـ بعـدـماـ فـشـلـاـ فـيـ إـخـضـاعـ سـورـيـةـ وـالـاستـيـلاءـ عـلـيـهاـ خـلـافـاـ لـإـرـادـةـ شـعـبـهاـ.ـ وـاـسـتـطـراـدـاـ،ـ كـيـفـ تـكـوـنـ رـوـسـيـاـ دـوـلـةـ كـبـرـىـ إـذـاـ كـانـتـ مـهـمـتـهاـ فـيـ سـورـيـةـ مـقـيـدـةـ بـشـرـوـطـ نـظـامـ مـنـبـوـزـ يـسـخـرـهـاـ فـيـ تـصـفـيـةـ مـعـارـضـيـهـ وـتـوـفـرـ حـصـانـةـ لـبـقـائـهـ فـيـ السـلـطـةـ،ـ أـوـ تـجـنـدـ إـيـرـانـ فـيـ خـدـمـةـ مـشـرـوـعـهـاـ المـذـهـبـيـ،ـ حـتـىـ أـنـ الـأـسـدـ وـحـلـيـفـهـ يـعـمـلـانـ عـلـىـ إـفـشـالـ سـعـيـ رـوـسـيـاـ إـلـىـ إـعـادـةـ الـاعـتـبـارـ لـلـجـيـشـ،ـ كـمـاـ أـحـبـطـاـ مـيـدانـيـاـ جـهـدـهـاـ لـتـحـقـيقـ هـدـنـةـ فـيـ الـغـوـطـةـ الـشـرـقـيـةـ لـدـمـشـقـ بـيـنـ قـوـاتـ النـظـامـ وـ«ـالـجـيـشـ السـوـرـيـ الـحـرـ»ـ.

عـلـىـ قـاـعـدـةـ تـفـاهـمـاتـهـاـ غـيـرـ الـمـعـلـنـةـ،ـ تـبـادـلـ أـمـيـرـكـاـ وـرـوـسـيـاـ الـضـغـطـ حـالـيـاـ تـحـتـ عـنـوـانـ «ـمـصـيـرـ الـأـسـدـ»ـ،ـ وـتـتـوقـعـ كـلـ مـنـهـمـاـ أـنـ تـتـنـازـلـ الـأـخـرـىـ أـوـلـاـ بـحـكـمـ الـإـحـرـاجـ وـالـضـرـورـةـ.

تـنـظـاـهـرـ أـمـيـرـكـاـ بـأـنـهـ أـكـثـرـ مـسـؤـولـيـةـ حـيـنـ يـقـولـ بـارـاـكـ أـوـبـاـمـاـ أـنـهـ لـاـ يـتـصـوـرـ نـهـاـيـةـ لـلـأـزـمـةـ السـوـرـيـةـ «ـمـعـ بـقـاءـ الـأـسـدـ فـيـ السـلـطـةـ»ـ،ـ وـتـرـدـ رـوـسـيـاـ بـأـنـ الـمـسـؤـولـيـةـ الـدـوـلـيـةـ تـنـحـصـرـ الـآنـ بـالـقـضـاءـ عـلـىـ تـنـظـيـمـ «ـدـاعـشـ»ـ وـأـنـ هـذـهـ الـأـوـلـوـيـةـ تـتـطـلـبـ الـتـعـاـونـ مـعـ الـأـسـدـ وـنـظـامـهـ.

كـانـتـ أـمـيـرـكـاـ عـبـرـتـ أـكـثـرـ مـنـ مـرـةـ عـنـ اـسـتـعـادـاـهـاـ لـقـبـولـ بـقـاءـ الـأـسـدـ فـيـ بـدـاـيـةـ عـمـلـيـةـ اـنـتـقـالـيـةـ لـكـنـ وـفـقـاـ لـشـرـوـطـ تـضـمـنـ قـبـولـهـ هـذـهـ الـعـمـلـيـةـ وـتـسـهـيلـهـاـ،ـ وـخـاـصـتـ نـقـاشـاـ مـعـ حـلـفـائـهـاـ لـإـقـنـاعـهـمـ بـأـنـ هـذـهـ هـيـ الصـيـغـةـ الـوـحـيـدـةـ لـحـلـ رـوـسـيـاـ عـلـىـ تـحـرـيـكـ مـوـقـفـهـاـ،ـ وـلـمـ يـوـافـقـ أـلـأـوـرـوـبـيـوـنـ إـلـاـ بـعـدـ اـشـتـادـ مـوـجـاتـ الـهـجـرـةـ وـاجـتـيـاحـهـاـ بـلـدـانـهـمـ،ـ وـلـمـ يـعـطـ الـعـرـبـ وـالـأـتـرـاـكـ سـوـىـ موـافـقـةـ مـشـرـوـطـةـ بـضـمـانـاتـ.ـ وـبـنـاءـ عـلـىـ ذـلـكـ تـقـبـلـتـ وـاـشـنـطـنـ التـدـخـلـ الـرـوـسـيـ،ـ أـوـلـاـ لـأـنـ الـحـاجـةـ مـسـتـ إـلـىـ تـدـخـلـ خـارـجـيـ قـادـرـ عـلـىـ التـأـثـيرـ فـيـ خـيـارـاتـ النـظـامـ،ـ لـأـنـ هـذـهـ الـوـسـيـلـةـ تـتـيـحـ اـخـتـيـارـ نـيـاتـ رـوـسـيـاـ وـقـدـرـاتـهـاـ،ـ وـالـأـهـمـ ثـالـثـاـ لـأـنـ الـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ نـفـسـهـاـ اـسـتـبـعـدـتـ مـنـذـ الـبـدـاـيـةـ كـلـ اـحـتمـالـ لـلـتـدـخـلـ الـمـباـشـرـ فـيـ سـوـرـيـةـ...

لـعـلـ اـخـتـيـارـ قـدـرـاتـ رـوـسـيـاـ بـلـغـ ذـرـوـتـهـ عـنـدـمـاـ اـسـتـدـعـيـ الـأـسـدـ إـلـىـ الـكـرـمـلـيـنـ،ـ وـبـعـدـ يـوـمـيـنـ جـاءـ سـيـرـغـيـ لـافـرـوـفـ إـلـىـ فـيـبـنـاـ إـلـبـلـاغـ نـظـرـائـهـ الـأـمـيـرـكـيـ وـالـسـعـوـدـيـ وـالـتـرـكـيـ بـأـنـ لـدـىـ مـوـسـكـوـ مـعـطـيـاتـ جـدـيـدـةـ تـصـلـحـ لـإـطـلـاقـ تـشـاـوـرـ دـوـلـيـ وـوـضـعـ خـرـيـطـةـ طـرـيـقـ لـحلـ الـأـزـمـةـ،ـ لـكـنـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـدـعـيـ إـيـرـانـ،ـ فـكـانـ الـإـجـتـمـاعـانـ الـمـوـسـعـانـ فـيـ فـيـبـنـاـ،ـ ثـمـ كـانـ «ـالـخـرـيـطـةـ»ـ غـدـاءـ الـهـجـمـاتـ الـإـرـهـابـيـةـ فـيـ بـارـيسـ.

وـفـيـ مـقـابـلـ صـيـاغـةـ غـامـضـةـ أـصـرـتـ عـلـيـهـاـ رـوـسـيـاـ فـيـ مـاـ يـتـعـلـقـ بـ«ـمـصـيـرـ الـأـسـدـ»ـ وـكـذـلـكـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ تـفـسـيرـ بـيـانـ «ـجـنـيـفـ 1ـ»ـ (ـرـغـمـ النـصـ عـلـىـ أـنـهـ رـكـيـزـةـ الـحـلـ)ـ،ـ عـهـدـ إـلـىـ السـعـوـدـيـ عـقـدـ مـؤـتـمـرـ فـيـ الـرـيـاضـ لـتـشـكـيلـ وـفـدـ يـمـثـلـ كـلـ أـطـيـافـ الـمـعـارـضـةـ (ـمـعـ أـخـذـ الـأـرـاءـ الـأـمـيـرـكـيـ وـالـرـوـسـيـ فـيـ الـاعـتـبـارـ)ـ لـيـتـوـلـيـ التـفـاـوـضـ مـعـ الـنـظـامـ،ـ وـتـلـبـ مـنـ الـأـرـدـنـ إـجـرـاءـ مـشـاـورـاتـ اـسـتـخـبـارـاتـيـةـ لـإـعـدـادـ قـائـمـةـ بـالـتـنـظـيـمـاتـ الـإـرـهـابـيـةـ الـتـيـ سـتـحـنـنـ فـيـ بـأـنـهـاـ خـارـجـ الـعـلـمـيـةـ السـيـاسـيـةـ،ـ وـبـالـتـالـيـ سـتـعـتـبـرـهـاـ الـأـطـرـافـ الـدـوـلـيـةـ أـهـدـافـاـ فـيـ «ـالـحـرـبـ الشـامـلـةـ»ـ الـمـرـتـقـبـةـ عـلـىـ الـإـرـهـابـ.

لـمـ تـكـنـ هـذـهـ «ـالـخـرـيـطـةـ»ـ وـالـتـرـيـيـاتـ الـمـرـاـفـقـةـ لـهـاـ لـتـرـضـيـ إـيـرـانـ،ـ حـتـىـ لـوـ كـانـ عـدـدـ مـنـ «ـعـلـائـهـاـ»ـ الـمـعـرـوـفـينـ مـرـشـحـينـ عـلـىـ لـوـائـحـ وـاـشـنـطـنـ وـمـوـسـكـوـ لـلـانـضـمـامـ إـلـىـ وـفـدـ الـمـعـارـضـةـ.

كـمـاـ أـنـ الدـخـولـ فـيـ فـرـزـ الـفـصـائـلـ الـمـقـاتـلـةـ لـلـتـمـيـزـ بـيـنـ الـإـرـهـابـيـ وـالـمـعـارـضـ منـ شـأـنـهـ أـنـ يـنـسـفـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ الـأـسـدـ وـطـهـرـانـ الـتـيـ قـامـتـ أـسـاسـاـ عـلـىـ تـصـنـيـفـ كـلـ مـنـ يـقـاتـلـهـمـاـ كـ«ـإـرـهـابـيـ»ـ أـوـ «ـتـكـفـيـرـيـ»ـ،ـ أـيـ أـنـهـمـاـ أـصـبـحـاـ فـيـ طـرـيـقـهـمـاـ إـلـىـ خـسـارـةـ «ـوـرـقـةـ الـإـرـهـابـ»ـ الـتـيـ لـعـبـاـهـاـ طـوـيـلـاـ فـيـ مـقـارـعـةـ الـأـمـيـرـكـيـيـنـ فـيـ الـعـرـاقـ ثـمـ فـيـ إـدـارـةـ الـأـزـمـةـ السـوـرـيـةـ،ـ فـضـلـاـ عـنـ أـنـ إـيـرـانـ اـسـتـخـدـمـتـهـاـ تـوـجـيـهـهـ تـعـالـمـ نـورـيـ الـمـالـكـيـ مـعـ سـنـةـ الـعـرـاقـ.

أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ،ـ لـمـ يـكـنـ خـافـيـاـ أـنـ الـصـيـاغـةـ الـعـامـةـ لـ«ـالـخـرـيـطـةـ»ـ بـنـيـتـ عـلـىـ مـفـهـومـ «ـالـانتـقـالـ»ـ بـالـحـكـمـ السـوـرـيـ مـنـ حـالـ إـلـىـ

حال، وهو أمر يرفضه الأسد تمسكاً بالسلطة ويرفضه الإيرانيون تشبثًا بمشروعهم.

كانت طهران أحاطت علمًا بما سمعه الأسد من فلاديمير بوتين، ثم استشعرت منذ مشاركتها في الاجتماع الأول في فيينا أن هذا الحشد من الدول يعرقل مناوراتها وينذر بمسار غير مريح لها، وهي الموجودة في عمق الأزمة التي يتداول بها الآخرون، بل هي التي صنعتها وأجّجت نارها وتنتظر قطف ثمارها. الواقع أن إيران اصطدمت بجوّ سياسي سائد في فيينا، قوامه الإصرار على مواصلة العمل مع كثرة الخلافات على أكثر من جانب في الملف.

لذلك راحت تكثر النقد من خارج الاجتماع، بغية تغيير منهجه، سواء بلسان المرشد علي خامنئي أو عبر قادة في «الحرس الثوري»، تارة بالجهر بخيبة الأمل من روسيا وتارةً أخرى بمحاجمة «التدخلات الخارجية» في التسوية السياسية في سوريا، باعتبار أن تدخلها وروسيا داخليًّا وليس خارجيًّا. المهم أن طهران كانت ترغب في حدثٍ ما يمكن أن يقلب الطاولة.

هنا حصلت هجمات «داعش» في باريس... هي مصادفة أم تدبير؟ لا فرق، إذ كادت تطيح اجتماع فيينا أو تعرقل إقرار «خريطة» الحل، لكن هذين التوقيعين خابا. وعندما أكدت موسكو أن ما أسقط الطائرة في سيناء كان عملاً إرهابياً استُخدمت الهجمات لإعادة الأزمة السورية إلى «المرربع الإرهابي» الذي وضعها فيه الأسد. وهو هو رئيس النظام نفسه يعلن في مقابلة تلفزيونية أنه «لا يمكن تحديد جدول زمني للمرحلة الانتقالية قبل إلحاق الهزيمة بالإرهاب»، وتبعه فوراً ممثل «الحرس» في الخارجية الإيرانية حسين أمير عبد اللهيان معتبراً أن الحل السياسي «لن يفضي إلى نتيجة من دون التصدي للإرهاب».

كان واضحًا أن الأسد استند إلى هجمات باريس ليخاطب الدول الغربية المشاركة في فيينا بمنحي ابتزازي، مفاده أنه يرفض «الخريطة»، وأن الأولوية يجب أن تتجه إلى القضاء على الإرهاب. لم يكن لهجمات «داعش» أي مغزى آخر غير القتل والإجرام، لكن التنظيم قدم خدمة أخرى للأسد ونظامه وكذلك لإيران.

لا شك في أن ثنائية الأسد - «داعش» باتت أقرب إلى «طالبان» - «القاعدة» منها إلى وضع نيجيريا إزاء «بوكو حرام».

الحياة اللندنية

المصادر: